التوجيه المهنى والتعليم بمصر

بقلم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد
أستاذ مساعد بمعهد التربية العالى للمعلمين بالقاهرة

مهما اختلف المربون فى أهداف التربية فانهم متفقون على هدف مشترك هو الإعداد لكسب العيش . وقد انتهى العصر الذى كان العلم يطلب فيه لذاته ، أو لأنه الوسيلة للتحلى بالفضيلة والتهذيب الخلقى . وأصبحت الفلسفة السائدة الآن فى التربية هى الفلسفة البرجماسية .

وكانت مصر إلى أول عهد الاستقلال تعانى نوعين من الفقر فى التعليم : الفقر فى الكم ، والفقر فى النوع . فقد كانت نسبة المتعلمين بها ضئيلة ، ولم تعد ١٠٪ ، كما كان مستوى التعليم فيها دون المستوى عند الأمم المتحضرة . ولم تكن بها سياسة تعليمية مدروسة ، أساسها استعداد الفرد وقدراته ، وحاجات البلاد الاقتصادية والثقافية .

وقد تطلعنا لاستقلال البلاد السياسى واعتبرناه بشيراً بالنهوض العام فى ميادين الحياة ، ومن بينها ميدان التربية . وشعرت الدولة ، حكومة وشعباً ، بالحاجة إلى تحسين الكم فصدر قانون الإلزام الذى ينص على تعليم كل طفل ما بين السابعة والثانية عشرة ، فزادت بذلك المدارس الأولية ، وزادت أيضاً أنواع أخرى من التعليم كالابتدائى والثانوى والفنى . أما من حيث النوع فقد اتجهت العناية إلى المرحلة العليا من التعليم فأنشئت جامعة فؤاد ، ثم جامعة فاروق . وصدق العزم على أن نرى مستوى التعليم الجامعى عندنا لا يقل عن مستواه عند الأمم الأخرى . وقد أخذنا بالأسباب . هذا وقد أنشىء إلى جانب الجامعتين معاهد أخرى مختلفة ثقافية وفنية شبيهة بالجامعية .

غير أننا إذا رجعنا إلى الهدف المتفق عليه من التربية وهو كسب العيش ، وجدنا أن من وظائف التربية إعداد الفرد ليقوم فى الحياة العملية بالمهنة التى تناسبه preparing the right man for the right job . ووجدنا أننا لم نعن بهذا الهدف أية عناية علمية ، ولم نوجه له أى مجهود كما فعلت الأمم الأخرى الراقية التى اهتمت

بالتوجيه المهنى . وإذا كنا نريد أن ينتج أبناء الشعب أجود ما يمكن وأكثره ، بأقل مجهود وفى أسعد ظروف للعمل ، وجب أن ندرس قدراتهم وميولهم — وهم فى مرحلة الإعداد — ونوجههم إلى العمل المناسب . وإنه لمن المستحيل أن تتفوق أمة فى أى ميدان من ميادين الإنتاج ما لم تبن سياستها الاقتصادية على أساس علمى من إعداد الرجل الصالح للعمل الصالح وقيامه به . ونحن قد أهملنا — كما قلت — هذا الأساس فى جميع مراحل التعليم . وإليك بيان ذلك :

١ — ثنائية المرحلة الأولى : فالبلاد ما زالت تعانى هذه الثنائية ، وما زال التعليم الابتدائى قائماً بجانب التعليم الأولى ، بالرغم من الجهود التى تبذل لتوحيد المرحلة الأولى . وما لم تتح الفرص للجميع فى هذه المرحلة ليظهر ما عند الأطفال من ذكاء واستعداد ، ويمكن الأذكياء من مواصلة تعليمهم إلى مراحل أرقى ، فإن تلاميذ المدارس الأولية — وهم النسبة الكبرى — سيحرمون من إتمام تعليمهم وستحرم البلاد من ذكائهم وقدراتهم . ولا شك أن بينهم من يصلحون للتعليم الجامعى والثانوى الثقافى والفنى . وقد يكون من بينهم أينشتين وباستير وشوقى وسعد زغلول .

هذا والمدارس الأولية بمصر — ومدتها خمس سنوات — ليست مهنية ، ولا يمكن أن تكون مهنية ؛ لأن هذه المدة لا تكفى للتثقيف العام ، بله المهنى . وحتى على فرض توحيد المرحلة الأولى وجعلها ست سنوات إلزامية ، فإن هذه المدة لا تكفى للتثقيف والإعداد المهنى المبنى على توجيه علمى . فقد دلت أبحاث علم النفس أن الرابعة عشرة هى السن التى تتضح فيها المواهب والقدرات الفردية . فلا أقل إذاً من أن يمتد التعليم الأولى إلى هذه السن ، وأن يبدأ ثقافياً عاماً ، ثم مهنياً فى آخر المرحلة .

ومن العجيب أن ننشىء المدارس الريفية لإعداد الصبيان إعداداً يمكنهم من مزاولة الزراعة بأساليب علمية ، مع أن مدة هذه المدارس لا يمكن أن تكفى لهذا الإعداد . وحتى لو فرضنا أنها تكفى فعلى أى أساس اختير هؤلاء الصبيان وقد يكون منهم — ولا شك — الصالحون لأنواع أخرى من المهن الثقافية والفنية .

ولقد كانت انجلترا حتى قيام هذه الحرب الأخيرة تجرى أول نوع من التوجيه فى سن ١١ + بقياس ذكاء التلاميذ بعد المرحلة الثقافية الأولى (من ٧ إلى ١١) وتقسيمهم إلى ثلاث طبقات ؛ طبقة الأذكياء وهؤلاء تفتح أمامهم أبواب التعليم

الثانوى بالمجان ، وطبقة المتوسطين وهؤلاء لهم نوع المدارس الفنية التى تستمر إلى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة وتسمى Central Schools ، وطبقة دون المتوسطين وهؤلاء يستمرون فى التعليم الأولى الراقى ويعلمون أنواعاً من المهن التى لا تحتاج إلى مهارة كبيرة أو إعداد نظرى راق . ويظلون بمدارسهم حتى الرابعة عشرة .

ومما أسلفنا يتبين ضرورة توحيد المرحلة الأولى ، وضرورة رفع سن ترك المدرسة الإلزامية ، وضرورية التوجيه العلمى الأول بعد فترة التثقيف العام بقياس الذكاء ، وتمكين كل تلميذ من مواصلة التعليم الذى يناسب ذكاءه العام .

٢ — ربط مرحلة التعليم الثانوى بالمرحلة الأولى : وهذه نقطة قوية الصلة بالنقطة السابقة . فلا يكفى توحيد المرحلة الأولى ، بل لا بد من تنويع المرحلة التالية لفترة الثقافة الأولى (ولتكن أربع سنوات) وربطهما بعضهما ببعض ربطاً يمكن الأذكياء من الاستمرار فى التعليم المناسب لذكائهم ، ولا يحرم من هم أقل ذكاء من تعليم ثانوى يلائم ذكاءهم الطائفى ، وذكاءهم الخاص وميولهم . والذى نلاحظه فى مصر هو حرمان تلميذ المدرسة الأولية من التعليم الثانوى لعدم الصلة بين المرحلتين ، وتكالب من أتموا التعليم الابتدائى على المدارس الثانوية النظرية . أما التعليم الثانوى الفنى فما زال الشعب ينظر إليه نظرة استصغار ، وما زال ولاة الأمر فى وزاره المعارف تاركين مسألة أختيار نوع التعليم لأولياء الأمور من الآباء . وهؤلاء حريصون على أن يستمر أبناؤهم فى التعليم النظرى مهما كان استعدادهم له ضعيفاً .

فالذى نحتاج إليه إذاً هو أن تكون مرحلة التعليم الثانوى (أو الأوسط إن شئت) متصلة بالفترة الأولى من التعليم الأولى ، وأن يختبر ذكاء الأطفال فى نهايتها بحيث يستمرون فى التعليم الذى يناسبهم . ويكون تحديد نوع التعليم بناء على نتائج اختبارات الذكاء .

٣ — العناية بالشواذ . وأقصد بالشواذ هنا من هم دون المتوسطين فى الذكاء من ضعاف العقول . وهؤلاء يهملون إهمالا تاماً فى مدارسنا بجميع مراحلها . وهم لا يستطيعون الاستفادة من التعليم الجمعى الذى يراعى فيه المتوسطون والمتفوقون . غير أنه يمكن الاستفادة من هؤلاء الشواذ بتنمية ما عندهم من قدرات ومهارات مهما كانت منحطة بأساليب تتناسب معهم . وفى البلاد الأوربية فصول ومدارس لهؤلاء الشواذ يعلمون فيها مهناً وحرفاً مختلفة ، بحيث يشعرون بأنهم مواطنون منتجون ضمن حدود قدراتهم .

٤ — المرحلة الثانوية والتوجيه إلى الجامعة : وإنه لمن المحزن حقاً ألا نجد أى نظام علمى يوجه تلاميذ المدرسة الثانوية إلى الدراسة التى تتفق وميولهم ومواهبهم وقدراتهم . فالتلميذ بعد النجاح فى الثقافة العامة يلتحق بأحد الأقسام الثلاثة (العلمى أو الرياضى أو الأدبى) بناء على مجرد رغبة منه أو من والديه أو من ناظر المدرسة . وقد لا يكون لهذه الرغبة ما يبررها من ذكاء التلميذ الطائفى أو الخاص ، ولا من ميوله الطبيعية التى ظهرت آثارها فى إنتاجه وهواياته . نعم قد يعتمد النظار فى التوجيه على نتيجة الامتحان فى الثقافة العامة ، ولكن أمن الممكن حقاً الاعتماد على هذه النتيجة ؟ إن التوجيه المهنى أثناء الدراسة تقرره عوامل كثيرة منها نتيجة الامتحان ، وميول التلميذ الطبيعية ، ونسبة ذكائه العام ، ونتيجة قياس ذكائه الخاص أو الطائفى ، وحالته الصحية ، ومزاجه ، وخلقه . فنحن إذاً فى مدارسنا نعتمد على عامل واحد فى التوجيه الدراسى هو عامل الامتحان . ولا يخفى ما فى نظم الامتحانات من عيوب .

وأذكر من أمثلة سوء التوجيه بالمدرسة الثانوية تلميذاً دخل قسم العلوم ، وكان مجموع درجاته فى امتحان التوجيهية ٥٠٪ . ولكنه كان يريد أن يلتحق بإحدى الكليات العلمية ، فلم يستطع . فأعاد الدراسة التوجيهية سنة أخرى ، وكانت نتيجة امتحانه فى التوجيهية أن حصل على درجات مجموعها ٥٠½٪ . فكأنه بعد إمضاء سنه بأكملها لم يزد إلا ½٪ . فهل وجه مثل هذا التلميذ التوجيه الصالح ؟ وأخيراً التحق بكلية التجارة !! هذا مثل من أمثلة كثيرة جداً يعرفها القراء .

فأين إذاً التوجيه الدراسى المهنى العلمى بالمدارس الثانوية ؟

٥ — القبول بالكليات والتوجيه : إن نجاح التلميذ فى امتحان التوجيهية وحصوله على النسبة المطلوبة من الدرجات لكلية من الكليات الجامعية ليس معناه مطلقاً صلاحية هذا التلميذ لنوع الدراسة التى وجه إليها بالمدرسة الثانوية . فتلاميذ قسم العلوم — مثلا — أمامهم كلية الطب والصيدلة والطب البيطرى ، وكلية العلوم (وهذه أقسام مختلفة) . ولا يكفى قطعاً أن يكون التلميذ ممتازاً فى مواد العلوم ليصير طبيباً بشرياً ممتازاً ، أو صيدلياً ، أو بحاثاً علمياً ، أو جيولوجياً ممتازاً . كلا بل هناك خصائص أخرى مزاجية واجتماعية وصحية ، ضرورية لنجاح كل من هؤلاء فى مهنهم . وليس العامل العلمى إلا واحداً من هذه الخصائص . غير أننا — بالأسف — لا نراعى عند قبول التلاميذ بكليات الجامعة إلا نتيجة الامتحان . وهذا خطأ كبير فى لغة التوجيه المهنى

ومما تقدم يتبين لنا أن التوجيه المهنى العلمى غير معروف فى معاهدنا المصرية ، وأننا فى حاجة إلى :

١ — توحيد المرحلة الأولى من التعليم حتى تتكافأ الفرص أمام جميع أبناء الشعب .

٢ — تنويع المرحلة التالية تنويعاً يسمح لكل تلميذ أن يواصل الدراسة التى تناسب ذكاءه العام والخاص وميوله واستعداده .

٣ — أن يكون أساس تنويع الدراسة فى المرحلة الثانية (أو الوسطى) هو نتائج اختبارات الذكاء ، وأن تجرى باعتبارها اختباراً ضرورياً لتوجيه التلميذ إلى الدراسة التى تناسبه ، بعد المرحلة الأولية أو الفقرة الأولى منها . ويقوم بهذه الاختبارات مدرسون متمرنون عليها .

٤ — أن تنشأ فصول للشواذ — أو مدارس — يعلمون فيها المواد والمهن التى تناسب قواهم العقلية واستعدادهم . ولا يحكم على شذوذهم إلا بعد اختبارات سيكلوجية دقيقة .

٥ — أن يكون التوجيه فى مرحلة التعليم الثانوى من اختصاص المدرسة التى تقوم باختبار التلاميذ بالطرق السيكلوجية ، لمعرفة أنواع الدراسة التى يصلحون لها . ومكتبة علم النفس مملوءة بالكتب التى تعالج التوجيه المهنى واختباراته .

٦ — أن يكون توجيه التلاميذ فى الجامعة — بل فى الكلية الواحدة — إلى القسم الذى يناسب كلا منهم بعد اختباره بالطرق السابقة .

٧ — أن تدرس مادة التوجيه المهنى باعتبارها جزءاً من المنهج بالمدرسة الثانوية حتى يلم التلاميذ بالقواعد العامة لها ، ويعرفوا الفرص الممكنة أمامهم فى الحياة للعمل ، ونوع الدراسات التى تتطلبها هذه الفرص ، والخصائص التى يجب أن تتوافر فى التلميذ الذى يرغب فى دراسة بعينها .

عبد العزيز عبد المجيد

ETABLISSEMENTS R. GUYOT

MATÉRIEL PSYCHOTECHNIQUE

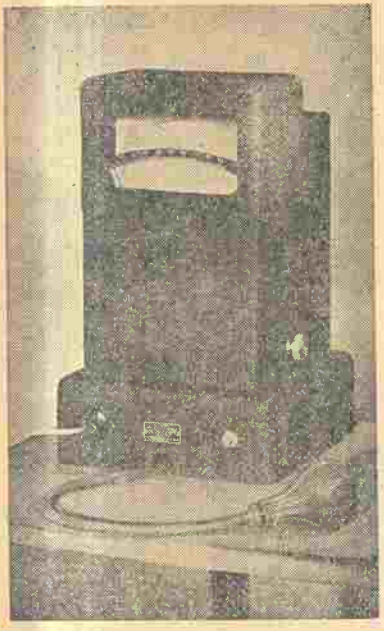

محلات ر . جييو

أكبر مصنع فى فرنسا
لأجهزة علم النفس الصناعى
وأجهزة معامل علم النفس التجريبى

أجهزة خاصة لاختبار
قدرة سائقى السيارات
واختبار القدرات الميكانيكية
اختبارات عملية للذكاء والشخصية

أحدث جهاز لقياس التعب ←

الوكلاء الوحيدون فى مصر والشرق العربى

الشركة الشرقية للتجارة والصناعة — القاهرة ص . ب . ١٩٤٣

Société Orientale pour le Commerce et l'Industrie

Le Caire — B.P. 1943 Tel. 58681

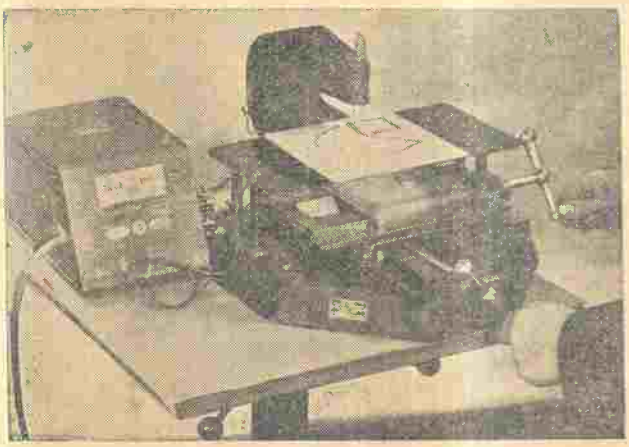

جهاز لاختبار القدرة على فصل حركة اليدين يسمح أيضاً باختبار القدرة على تركيز الانتباه وسرعة التعلم وتجنب حوادث العمل .